المشرق

سيرة الحبر الطيّب الذكر

عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

مؤسّس الرهبانيّة اللبنانيّة المارونية ومطران بيروت (١

كتبها تلميذه وخلفه في الرئاسة العامّة الأب توما البودي

ونشرها بالطبع لاوّل مرّة وعلّق حواشيها الاب انطون رباط اليسوعي

تَوْطئة

اورثنا الاب المذكور بالفضل والنبرة لويس كفاريوس ابوجي اليسوعي اوراقاً وتصوصاً كان استنسخها في رومية منذ نصف قرن منها هذه التبذة المفيدة في سيرة احد مشاهير الموارنة وهو الحبر المفضال عبدالله قراعلي المؤسس الاوّل للرهبانية المارونية اللبنانيّة ورئيسها العام مدة ست عشرة سنة متوالية وقد سُقف على مدينة بيروت فرعاها اربعاً وعشرين سنة بنبرة رسولية كما قام باعباء الرئاسة على الرهبان بتقوى وزهد وحكمة جعلته مثالاً حيّاً لمعاصريه الزاهدين ولمن حذا حذوهم. والنسخة التي بيدنا منقولة عن كتيّب من مكتبة المدرسة المارونية في رومية وهي تتعلق بسيرة هذا الاب الجليل وفضائله الرهبانية الى ان جُعل استفنا. وقد جاء في آخر نسختنا ما يلي: «هذا الجزء اتجد في مكتبة مار انطونيوس الموارنة في رومية. وان اردت الباقي اسأل عنهُ في مكتبة لوزيه. والله اعلم». فيا حبذا لو اطلعنا بعض العارفين على تتمّتها لننشرها حفظاً للآثار التاريخيّة من

---

١) اطلب تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي (٣٥٦ و ٣٦٢–٣٧٧) وتاريخ دير مار انطونيوس قزحيا للاب نعمة الله الكفري (المشرق ٤: ٣٦١) وسيرة المطران جرمانوس فرحات للقس جرجس منش (المشرق ٧: ٤٩ و ١٠٥ و ٢١٠) وبرنامج اخوية القديس مارون لجناب يوسف افندي خطار غانم (١١٤–١٢٣) ودراسة المطران عبدالله قراعلي في تاريخ الرهبانية (نشر قسماً منها الاديب رشيد افندي الشرتوني في سلسلة بطاركة الطائفة المارونيّة ١٨٣–١٩٥) الخ

الضياع . اما كاتبها او سلفها فهو القس توما البودي (والمحدثون يسمونه البودي) الحلبي تلميذ الاب عبدالله وصديقه وموضع سره وثقته ترهب في ١٠ آب سنة ١٧٠٦ كما جاء في النص وعُمِّل سنين طويلة وكيلًا عامًا وتقلب في كثير من الوظائف وانتُخب رئيسًا عامًا سنة ١٧٣٥ – وهو الخامس في العدد – وجدد لهُ الرهبان الرئاسة سنة ١٧٣٨ وكان وقتئذٍ في رومية يسعى بانبات المجمع اللبناني . وكانت وفاته عام ١٧٤٢ (١ وهي السنة التي فيها فاضت روح معلمه المطران عبدالله (٢ . قال الاب نعمة الله الكفري نقلًا عن المطران جرمانوس فرحات : « كان [القس توما] واسع العقل حسن الفطنة والمعاشرة فصيح اللسان » وقد خدم رهبانيته احسن الخدم واقتنى لها ارزاقًا تسهل على اخوانه الزهد بحاجات المعيشة لينكبوا على اعمال القداسة والبر (٣

نبتدي بعونه تعالى نكتب سيرة الملك الرحمة الحبر النبيل سيدنا المطران عبد الله قراعلي (٤ الحلبي المؤسس الرهبنة اللبنانيَّة حسبما ارخها المرحوم القس توما البودي تلميذه الذي كان معاصرًا لهُ (٥

فسيدنا وابونا عبدالله ولد في حلب من والدين مشهورين بالتقوى والسيرة الصالحة سنة ١٦٧٤ (٦ وكان اسم ابيه (٧ ميخائيل واسم والدته (٨ والمذكوران كانا موسرين بالمال والثروة الدنيوية (٩ ومشهورين بعمل الاحسان والعبادة فسمّياه عبد الاحد وحين

---

١) كذا في مختصر تاريخ الرهبانية اللبنانية للذي الحقهُ رشيد افندي الشرتوني بتاريخ الدويهي (٣٧٣) . وفي بعض ما اطلعنا عليهِ منقولًا عن سجلات الرهبانية انهُ توفي في دير رومية في ٨ شباط ١٧٦٨ ولهُ من العمر ٨٤ سنة وفي سجل دير مار الشمع ان الاب جبرائيل فرحات رئيس الدير البسكنتا سنة ١٧٠٧ ولهُ من العمر عشرون سنة فيكون عمره عند موته نحوًا من ٨١ او ٨٢ سنة

٢) في سجلات دير اللويزه عن سنة ١٧٤٢ ما يلي : « انتقل الى رحمة الله قدس سيدنا وابينا ومؤسس رهبنتنا اللبنانية المطران عبدالله قراعلي الحلبي الملك بالرحمة في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢ ولهُ من العمر سبعون سنة . وكانت وفاته في زوق مصبح ودُفن في دير اللويزه »

٣) اطلب تاريخ الدويهي (٣٧٣) والمشرق (٢ : ٢٦٤ و ٢٦٧) وسلسلة البطاركة (١٨٩)

٤) كذا في الاصل وفي رسائل المعاصرين . وقد اعتاد المحدثون كتابته بالهمز قرأأبي وهي لفظة تركية معناها اليد السوداء (برنامج ١٢٣) وعندنا انهُ لقب على بعائلة المترجَم المارونية كما علق غيره من الالقاب التركية بكثير من العائلات الحلبية

٥) هذان السطران للناسخ لا للمؤلف

٦) وفي البرنامج انهُ ولد في ٨ ايلول ١٦٧٢ فيكون عمره عند موته سبعون سنة كما سبق

٧) في الاصل « اباه » على اننا اصلحنا بعض الاغلاط النحوية تاركين الكلام على ما هو

٨) بياض في الاصل

٩) كتب المترجَم عن ذاته انهُ عندما اتى لبنان للترهب لم يكن يملك شيئًا من المال

انتشا وضعاه عند احد المعلمين الثقاة ليتعلم اللغة العربية والبريانية فاستدام على ذلك الى ان بلغ السنة الثانية عشرة من عمره . عند ذلك ابتدا ان يقرأ في كتب الآباء القديسين الزهاد من انطونيوس وجايه الى ان بلغ الاربعة عشرة سنة من عمره . فظهرت فيه حينئذٍ علائم الزهد والعبادة . فعينه ابوه ليتعلم الاعراب كالنحو والصرف (١ ورغب ابوه ان يعلمه ايضاً اللغة الايتاليانية رغبة في صناعة التجارة ومعاطاة البندر . لان والده كان يلحظ في هذا الفتى عقلاً ثاقباً وحشة زائدة ولهُ قبول عند العالم والدون . واما عبد الاحد اي ابونا المشار اليه (٢ لما انتشا الى السنة السادسة عشرة من عمره فكان يتزايد فيه الشوق الى الطريقة الرهبانية وكان يفتكر سراً كيف يكون العمل لبلوغ قصده لان في مدينة حلب وبرّها لم يكن ديارة للرهبان انما الخبر الشائع ان في جبل لبنان موجود رهبان وديارة باسم ابينا انطونيوس . وعبد الاحد المشار اليه لم يرَ لهُ سبيلاً للتوجه الى تلك النواحي لان المسافة بعيدة أنوف من عشرة أيام ومع هذا لم يكن لهُ جراءة ان يكلم اباه وامه ويظهر لهم رغبته مع انهم كانوا ذوي صلاح . لان والده ما كان يمكن ان يطلقه الى بلاد مجهولة عندهم وهو بهذا السن . فاستدام عبد الاحد في رغبته هذه الّا انهُ تارةً كان يرتخي وتارةً يشتد في عزمه ويرغب . وكان لهُ عشرة من نسبته وخاصةً ثلاثة انفار منهم . الذين فيما بعد ترهبوا جملةً كما يأتي ذكر ذلك في محله

قدام هذا الفتى على هذه الحال الى ان بلغ من العمر ثمانية عشر سنة فباحكام الهية مرض مرضة ثقيلة وبعونهِ شفي منها وحين كان في الفراش وليس لهُ قوة على الخروج كان يقرأ كتباً روحية للتسلية كما سبق القول . وانتهى الى قراءة كتاب بستان الرهبان واكليمكوس (٣ وكان يتأمل سيرة الآباء مثل ابينا انطونيوس ومكاريوس وارسانيوس ومن ماثلهم فتحرك قلبه بحركة فاقت ما قبلها من الحركات وعزم العزم

---

١) واحصاه الاب لويس شيخو (المشرق ٦ : ٩٩٦) والقس جرجس منش (المشرق ٦ : ٧٧٤) في عداد من قرأ على الشيخ سليمان النحوي والخوري بطرس التوّلوي الماروني

٢) عبد الاحد اسمه في العماد وفي الخارج عبدالله فاذا رأيت الاسمين لا تعجب وانما المعروف عند العالم والدون وفي الحيال وغيرها باسم عبد الله (للمؤلف)

٣) هو مار يوحنا السلمي صاحب سلّم الفضائل

الاكيد في ترك العالم والتجند الى حمل نير المسيح . فبعد شفائه من المرض رجع الى الاجتماع بعشرته وهم جبرائيل ابن توما حوا ويوسف ابن البتن وجبرائيل ابن فرحات (١ والمذكورون جميعهم كانت مذاكرتهم على الدوام في امور روحية وقراءة كتب القديسين ورغبة الزهد في العالم . مع انهُ ولا واحد منهم كان اطلع رفيقه على سريرته الروحيَّة الحقيقية

فحدث ان يومًا ما اضطرمت في قلب عبد الاحد نار حب الله واضناه الشوق الى الزهد في العالم وحمل نير الرب واتباع سيده ومع ذلك كان حائرًا كيف يكون العمل ليبلغ اربه لان بلادنا جميع حكامها غير مؤمنين بامانتنا كما تفهمون ذلك فالتزم انهُ افشى بسرّه الى جبرائيل ابن توما حوا واخبره عن نيته وعزمه فرد لهُ الجواب اعني جبرائيل حوا بقوله لهُ هكذا : ان هذه هي نيتي ايضًا وان اردت نكون جملة . فتعاهدا بالقول . واما يوسف ابن البتن فعرف بالرمز نيتهما وعهدهما . وصار الرضا بينهما اعني جبرائيل وعبد الاحد بان كل واحد منهما يستأذن والده

فجبرائيل حوا اذن لهُ والده توما برغبته ومطلوبه واشار اليهِ بان يأخذ معه بضاعة ويمضي بها الى طرابلوس لانها مينة جبة بشراي الموجود بها الكرسي البطريركي . ويومئذٍ كان البطرك اسطفانوس الدويهي من قرية اهدن وكان بالاصل نسيبًا لبيت حوا . وكان كلام والده هكذا : انك تتوجه بعلة التجارة وتزور وتكشف تلك النواحي فان امكنك المكث واختبرت ذاتك بالثبات فلك ان تمكث لانك مطلوق الارادة . واوعده والده بانه يعينه مدى حياته . فاتى جبرائيل الى عبد الله واخبره بالذي صار وانهُ صار يتوجه كما ذكر اعلاه . فتشجع عبد الله اي عبد الاحد بالمشورة الى والده واظهر لهُ نيته وعزمه وان مراده يتوجه مع جبرائيل فمانعه والده لانهُ كان يراه رقيق الجسم . واولى بنا ان نقول ان الطبع كان متغلبًا عليهِ في فرقة ولده . واذ رأى ذلك عبد الله ارتمى على اقدام والده باكيًا . واقتصارنا يكفي لفهمكم . اخيرًا بعد اللجاجة الزائدة وعدهُ والده انهُ يرسلهُ يزور القدس الشريف على درب الشام وبعد زيارته يرجع على درب البحر ومن يافا ينتهي الى طرابلوس ويزور الكرسي البطريركي وغيره من الديورة ويختبر ذاته هل لهُ قوَّة على سكنى البراري وما شاكلها

(١ اطلب ما ذكرناه من الكتب في الحاشية (ص ٦٢٥)

فتوجه جبرائيل حوا ومعهُ تجارته الى طرابلوس من غير ان احد يعرف سره الّا والديه وكان خروجه سنة ١٦٩٣ في اول تشرين الاول . وثاني سنة اي سنة الف وستمائة واربع وتسعين خرج عبد الله من مدينة حلب برضى والديه الى زيارة القدس الشريف ومعهُ يوسف البتن ومن هناك جاء الى جبل لبنان مع يوسف المذكور وتواجها مع جبرائيل حوا (١ وتوجهوا جملةً الى دير قنوبين واخبروا السيد البطريرك بغيتهم فابتدا يهزأ بهم بقوله لهم: انكم انتم الناس ذوو تنعم ومعاش الجبال قشب والحروب في البلاد وسفك الدماء متصل هل يمكنكم احتمال هذا واكمال مطلوبكم والحال انكم عاجزون عن شغل الفلاحة والزراعة وانتم ناظرون معاش الرهبان وسيرتهم في هذه البلاد (٢ . فاجابوه ان مرادهم ان يجمعوا قانونًا من رسوم الآباء انطونيوس وباسيلوس وغيرهم وينشئوا طريقة لهم ولغيرهم . فضحك البطريرك بيديه ضاحكًا ومستهزئًا بهم بقوله هكذا: الآن تحقّقت جنونكم . فثبت المشار اليهم على عزمهم وابتدأوا يترجون البطريرك بكل تواضع ومع هذا كانوا يعطون اشارات رغبتهم وجعلوا ان جبرائيل حوا الذي هو على القول الله نسيب البطريرك منذ القديم ان يخاطب البطريرك وحده عسى يعطف خاطره الى الميل لمساعدتهم على اكمال مقصودهم لان بغير يد البطريرك لا يقدرون ان يبتدوا في الاعتناء بما هم راغبون . اخيرًا استمدوا خاطر البطريرك بواسطة البعض من مطارنته فانعطف الى مطلوبهم بشرط ان يبتدوا بعمل ما يرغبون بحيث ان سكنتهم تكون مُرت موزا وهو مكان باسم دير خربان (٣ ورغبة البطريرك ان اذا صار

(١ التقيا بجبرائيل حوا في زغرتا يوم خميس الحسد سنة ١٦٩٤

(٢ كأني بالبطريرك الدويهي سبق فرأى ما سيحدث من الخلاف بين الحليين واللبنانيين الذي انتهى بانقسام الرهبانية الى شطرين. قال احد مؤرخي الرهبانية اللبنانية في كراسة خطية: « انّ اخص اسباب هذه الاختلافات والفتنة هو اختلاف الطباع والعوائد من حيث ان الحليين كانوا غير متأنين على الاشغال الشعبية والمدنية المتشعثة بل لهم التدبير . والبلديين بخلاف ذلك »

(٣ كان الدير خرابًا يأوي اليهِ كهنة طاعنون في السن يُسمّى انطونيوس — وجاء في تاريخ الدويهي (٣٥٦) : « في سنة ١٦٩٥ في العاشر من تشرين الثاني لبس اسكيم الرهبانية الثلاثة الذين قدموا من حلب وهم القس جبرائيل حوا والشماس عبد الله بن عبد الاحد ويوسف بن البتن فارسلهم ان يقيموا بدير مُرت موزا في اهدن » وجاء في البرنامج (١١٩) : « وفي صيف سنة ١٦٩٥ قصد ابوا جبرائيل حوا دير قنوبين بعد ان زارا القدس والتقيا من السيد البطريرك

غير روحي واقلّ ما جـدي من مداخيل اهلهم من حلب يكون في قرية اهدن لانها مولد البطريرك (كما ترون شرحه في تواريخ الرهبنة ٤) (١ لان الان غايتنا سيرة ابينا بوجه العموم

فنقول من بعد نشوئهم دُرت مورا ومار اليشع (٢ وتلك الخاصمات التي حدثت (٣ فاستمر عبد الله باقياً في دير مار اليشع وانشا الطريقة بمسرة الله. وهذا المغبوط ابتدا بالعمل قبل ان يعمل (والصواب : يعلّم) والانفار التي كانت عنده اولًا القس يوسف البتن المذكور انفًا. ثانياً الاخ موسى بلوزاني هذا ربي اكثر ايّامه في حلب (٤ وباقي انفار قليلة عدلنا عن ذكرهم لئلّا نطيل الشرح (٥ فابتدا في سيرة تشفة في جميع حركاته

اولًا كان عمل عوزال (٦ من عيدان حطب وقش وكان ينام عليه من غير فراش وكان يعقره ويوجعه كثيرًا واستدام على هذا الحال سنتين. وغطاه كان بنوع انهُ يدفى

نسيبها ان يسم ولدها قسيساً بعضرتها ليفرحا به قبل افتراقهما عنهُ فاجاب ملتمسها «. اما تسمية البطريرك الدويهي لقرائلي عبد الله بن عبد الاحد فظنهُ خطأ لان كلا الاسمين لمسمّى واحد

١) لا نعرف شيئاً عن هذا التاريخ ولعلهُ لا يزال محفوظاً في بعض الاديرة

٢) دير مار اليشع التي في سفح الوادي المقدّس حذاء قرية بشرّاي وفي ١٤ ايلول سم عبد الله كاهناً وأقيم رئيساً على هـذا الدير . وقد انتخبوا جبرائيـل حوا رئيساً عاماً عليهم في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٩٥

٣) قد لمح اليها صاحب التبذة وغيره من المؤرخين فنُزل جبرائيل حوا من الرئاسة العامة وخلفه المترجَم الذي صار المؤسس الاخص للرهبانية وسعى باثبات قانونها من الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي (١٨ حزيران ١٧٠٠)

٤) عند نسيبه المطران جبرائيل البلوزاني الذي اسس الرهبانيـة الانطونيانية سنة ١٧٠٠ وانتخب بطريركاً خلفاً للبطريرك اسطفان الدويهي. وقد ذكر المؤرخون مذبن الراهبين في عداد الافاضل الذين تسطرت البلاد بمرف نقوامم

٥) هذه اسماء الرهبـان الاولين نقلًا عن السجلّات : في ١ تموز ١٦٩٦ ألبس القس جبرائيل حوّاء الاسكيم اثنين من الشبان : الياس بن حلب ويعقوب من غزير. وفي ١ حزيران ١٦٩٨ ألبسهُ حنا الباني ويعقوب الحلبي وعبـدالله البشراني وموسى البلوزاني وجبرائيل قرحات الحلبي. وذلك في دير مرت مورا اهدن

٦) العوزال عقد من عيدان مرتبطة بعضها ببعض يطلق بين اغصان دوحة ويفرش بالقش فيُنام عليه ايّام الصيف

لا غير. فلحقه اولئك السعداء ارفاقه كل منهم على قدر قوته حسب ما كان يرشدهم. ثانياً من حيث صلواته العقليَّة في اول مبتداه كان يصلي على بكرة ساعة وبعد صلوة السواعي نصف ساعة والمسا ساعة. واما هذيذه فكان متصلاً ولم يخل به جملة من رهبانه وفي كل ليلة كان تلاميذه يعرضون ويكشفون له افكارهم وما يعرض لهم من صالح وطالح وبعد ذلك كان يعطي لجسمه راحة في الرقاد وهو جالس الى نصف الليل. في البدء كان يسند ظهره الى الحيط قليلاً وفيما بعد امتنع عن السند على الحيط ومتى قرع الناقوس كان يسبق الجميع الى الكنيسة وقد اجتهد البعض من الرهبان ان يسبقه الى الكنيسة فما امكنهم. وكان يبتدي الصلوة الفرضية بهدوء مرتلاً بنوع خشوعي والذي يحضر ويسمع الصلوات يتحرك قلبه الى العبادة طبعاً. وبعد خلوص صلوة الليل كان الرهبان تمضي الى مراقدها واما هو فكان ينتصب في الصلوة في الكنيسة امام المذبح الى وقت صلاة الصبح وقتاً جائياً ووقتاً واقفاً. بل قبل وقت صلوة الصبح ببرهة قليلة كان يخرج من الكنيسة لعمل واجبات الطبيعة وبعد ذلك يدخل الى قلايته التي كان لها بابان الواحد سري ومنهُ كان تدخل الرهبان لعنده لكشف افكارهم. وحين كان يقرع الناقوس لصلوة بكرة كان يخرج من باب قلايته الثاني المشاع للكل احد يعرف عمله. واستمر على هذا العمل أنوف من سنتين من غير ان يعرف احد به. ومن حيث نسكه فكل شيء يعرف انه يستلذ به اذا اكله كان يمتنع عنهُ بافراز هذا مقداره حتى ان ما كان يقدر يكتمه وكان ياكل كل اربع وعشرين ساعة مرة في العشا وحين يكون في المائدة كان يبتدي الاكل قبل الكل وينتهي بعد الكل وكان حدّ اكله نصف الذي كان يوضع امام الرهبان من الاطعمة والخبز كان ياكل رغيفاً واحداً وزن نصف اوقية واحياناً يكسر من الثاني قليلاً والذي كان ينظر اليه يظن انهُ ياكل اكثر من الرهبان نظراً الى ابتداه وانتهاه. ومن حيث ضنك جسمه يكفاكم هذا القول وهو ان ركبه كانت تكلكلت من ركوع المطانيات التي كان يستعملها في الكنيسة في الليالي. يشهد بذلك اصابعه التي كان يسند عليها في السجود والقيام التي تكلكلت ايضاً وربما البعض منكم لحظ ذلك فيه. وكان مجتهداً على قمع جسمه وضبط حواسه بنوع الذي مثلي عاجز عن توضيحه لكم. وانما اقول واحدة وهي غيرته على حفظ الطهارة بنوع يفوق عقلي شرحه لكن يكفاكم واحدة

وهي الى اي حدّ وصل في الطهارة فاذا لحظتم في تفسير القانون الذي فسره (١ في درجات الطهارة فلحظكم قادر على ان يفهم من القليل كثيراً لان ذلي عاجز عن برهان ذلك

فهذا المغبوط كان مفعماً من الله حكمةً وافرازاً ونسكاً ذا عقل ثاقب وعلم راسخ فصيح اللسان بليغ المعاني محبوباً من كل من يراه مهيباً لان كل من كان يواجهه كان يعتبره اعتباراً عظيماً وكان يستهابه وكان يحس في ذاته خشوعاً وميلاً الى العبادة. والحال ان خلقته بالذات ما كانت جميلة لانه كان اسمر اللون رقيق الجسم بلحية خفيفة سوداء بوجه طويل انكش بزيادة طويل القامة عشوق يداه طوال رقيقتان طويل الانامل راسه كبير عيناه ناتئتان ذو جبهة عريضة معبس عبس فرح احتشامي دليل العبادة والخشوع ومع هذا لمّا كان يواجه احد حكام تلك البلاد المشهورين ابناء حماده... بنا ان دير مار اليشع الذي هو مبدا الديورة كان في بلادهم فكانوا يغارون عليه وعلى الرهبان وعلى قيام القانون الذي انشاه عبد الله بزعمهم ان عبد الله الرئيس من اتقياء الله ورهبانه مثله ومهما كان يتكلم مع المشار اليهم يصدقونه ويعتبرونه بزعمهم ان عوّلاء الرهبان من زود تقاواتهم لم يتكلموا كذباً ولا كلاماً واهياً

فجميع ما ذكرنا الان قد تحقّقته من الرهبان الذين كانوا مترددين معهُ ومنهُ شيء قد تحقّقته بالنظر لما حصلتُ في الرهبنة ومنهُ نتجت ان الذي ذكروه لي هو قليل من كثير. فانا توما البردي المسكين بسيرتي الراهبية دخلت الى الرهبنة في دير مار اليشع لاصير راهباً فكان ابو الدير المذكور جبرائيل فرحات الحلبي المولد وفي الاصل بشراني (٢ وكان دخولي في الدير في عشرة ايام من شهر آب سنة ١٧٠٦ وابتديت في ١٤ من الشهر المذكور فابونا عبد الله ما كان حاضراً بل كان في دير مار يوحنا رشيا الذي افتتحوه في تلك السنة جديداً وبعد نحو شهرين توجه ابونا المشار اليه الى دير مار اليشع وحين وصوله وملاقاة الرهبان لهُ ومن جملتهم كنت انا فحقاً اقول يا ايها

---

١) يشير الى الكتاب المنون بـ المصباح اللبناني » شرح فيه عبدالله قراعلي القانون
٢) وفي البرنامج انهُ حصروني الاصل

القارئ الحبيب اني من حين نظرته وقدمت في وقتي لاجثو امامه تحققت في سريرتي ان الله عاطيه موهبة في معرفة الاشياء الغيبة عن غيره لانهُ حين نظر اليَّ سأل الاخوة: من يكون هذا. فسموني لهُ. فقال لي دون غيري من المبتدئين الموجودين: اصحَ يا اخي توما واعرف الى اين جابك الله. فقد عرفت القارئ بهاتين الكلمتين ليتحقق ويصدق ما انا عتيد ان اكتبه من الآن فصاعدًا. وعلى كل حال مذموم الراهب الذي يفتخر بفضائل ابيه ومرشده ورئيسه واعمالهُ في الخلاف لكن الحق الصريح يجب ان يكتب لئلا تعدم معرفة الصالحين وبعده الخير الذي يحصل عليه العباد من امثال سيرتهم الصالحة

وحال وصول ابينا المشار اليه الى الدير كان مريضًا مرضًا ثقيلًا حتى ان الرهبان سندوه في دخوله الى الدير. فأمرت انا من ابي الدير ان اعمل لهُ عشا لان الرهبان كانوا تعشوا فكان عشاه من الرز بسمن ومع كل مرضه ما اراد ان ياكل كل الرز المذكور والحال كان الرز صحن من الصحون التي يوضع فيها اللون الواحد على المائدة وعدم اكله لانهُ رآه دسمًا وادامه وافرًا. ولكي يخفي ذلك عن الناظرين اشار ان ادامه كثير وقال: بالكم من هذا البدل لئلا يخرب الدير. وفي اليوم الثاني رجع الى عادته في الصيام انا على مقدار كم يوم كان يتغدى مع الرهبان. وحقا اقول انهُ كان يتغدى بالاسم. وبعده ابتدا بالصوم وارتدت لهُ عافيته بهذه الطريقة. وبنا ان القس يوسف البتن هو الذي كان يخبرني عن سيرة ابينا المشار اليه فحين وجوده عندنا ابتدا يدلني عن افعاله الروحية السرية وعلى جهاده نفسًا وجسمًا وابتديت ان اشاهد بعيني ما كنت قد أخبرت عنهُ. وبعد نحو ستة اشهر توجه من دير مار اليشع الى دير رشيا. وفي تلك السنة افتتح دير اللويزة. والزمان الذي مكثه في دير مار اليشع كنت اتحايل جهدي لانظر عمله في الكنيسة في الليالي. فمن حيث انتصابه في الصلوة فكان يبان للناظر اليه كأنهُ صنم لا يتحرك وقتًا كان منكبًا على وجهه وحينًا كان يرش التراب والرماد على راسه. فهذه الاشياء وامثالها كان يستعملها بعد صلوة الليل في الكنيسة الى الصبح وما كان مطلع على هذه الافعال الا القس يوسف البتن وانا لله عبد بواسطته لان ابا الدير كان وضعني في وظيفة اكلارجية تحت يد القس يوسف المشار اليه والمذكور من محبته لي كان يطلعني على هذه الامور رغبةً في ان يرشد جهلي. وبعد كمال السنة

من تجربتي قبلت في الرهبنة وندرت الندر الاحتفالي

ورجع ابونا المشار اليه الى دير مار اليشع وقطن فيه نحو سنة ونصف وكان يرشد لي ولغيري وانا لم ازل ارقب سيره من غير ان احد يعرف وعلى ما كنت اراه انهُ كان يزيد عمَّا ذكرت آنفًا. بل ابتدا يصوم يومين يومين وبما ان صيامه لم يمكن ان يخفى عن الناس فتغايرت الرهبان والكهنة على الصيام. فحين رأى غيرتهم امر البعض ان يصوموا الى التاسعة ويستعملوا في التاسعة اكلًا قليلًا بنوع فطور نكسر الصفرة ويتعشوا مع اخوتهم. والبعض كان ينعهم عن الصيام وكل صباح يعطي موضوعًا روحيًا عمليًا لكل من الرهبان حسب مقدرته وموهبته والبعض كان يجمع اثنين اثنين بموضوع واحد ليذكروا بعضهم في نهارهم وعند المساء كانوا يعطون الحساب لهُ حسب الموضوع الذي كانوا اخذوه قبلًا بالتدقيق. وان احدًا منهم ما اظهر كما يجب بسبب سهو ام نسيان كان هو يوضح لهُ الاشياء التي لم يوضحها. وفي ذلك الزمان كان موجودًا جملة مبتدئين والاكثر حلبيون (١ ونوع رشده كان لكل ذي قدر على موجب قدره بنوع يعجز ادراكي عن تفسيره. بل يكفي للقارئ واحدة على موجب فهمي وهي كما ان الرسل القديسين بعد حلول الروح القدس عليهم كانوا يعظون الناس بالعبراني والسامعين كل ذي لغة كان يفهم لغته منهم هكذا عبدالله كان يجلس ويجتمع عليهِ الرهبان في الاوقات المعيَّنة

---

١) امامنا لائحة طويلة تتضمَّن اسماء المبتدئين من الرهبان قبل القسمة وتاريخ قبولهم الاسكيم واعمارهم واصلهم ووطنهم في كثير من الاديرة كدير مار اليشع ودير مار يوحنا رشيا ودير مار بطرس بكفيا (المقب بكريم التين) ودير مار الياس شويا الخ نبدي فيها نظرًا لهُ اهمية تاريخية. وهو ان كثيرًا من السريان والارمن والروم قد لبسوا الاسكيم في الرهبانية اللبنانية المارونية وهاك بعض الاسماء تثبت ما سبق: من الحليين الارمن لبس الاسكيم: بطرس الساعاتي. اسطفان. نتانائيل. فيانوس. براكيم. يوسف دولاب. حنا كرابيد. كيرلس. المقدسي توما. جبرائيل بن اذناور. بولس بن صاهون. قيلبوس كركور. مبارك عجيمي. يوسف الصائغ. فرنسيس. الخ — من السريان الحليين: ميخائيل. عمانوئيل. ارسانيوس. اكليمنضوس. توما العاقل. مبارك اشتا الذي ترأس على دير مار الياس شويا (وهو من العائلات السريانية القديمة ويعرف الحليون حارة اشتا الى ايامنا) وغيرهم وكلهم ذكر اصلهم السرياني اوالارمني بعد اسمهم. ومن دمشق الشام ذكر نقولا الشامي ودانيال الشامي روم الاصل. ومن بيت لحم متى روم الاصل الخ. فتامل

فكانت مخاطبتهُ لهم فيما يختص الطريقة الرهبانية والسير في الطريق الرياضي لبلوغ الكمال عمَّا يخصّ كل واحد. وإذا كان احدهم يسألهُ سؤالًا عن شرح ما ذُكر. فاقول حقًّا من غير ارتياب انهُ من قبل شرحه وجوابه كان كل راهب يفهم من فمه ما يخصه حسب درجته ومعرفته واحتياجه. وسلوكه مع الرهبان كان بكل وداعة مع انهُ من ذات طبعه كان مسودًا شرسًا عنيدًا برايه. لكن متى اكتشف على الحقّ كان يرجع ويقرّ معترفًا بكل تواضع لبّ. فجمع المدبرين امرارًا عديدة حكموا عليه باشياء ضد سلطانه بالذات بزعمهم لخير الرهبنة وتدبيرهم في ذلك الوقت ومن جملة ما ذكر ثلث مرات في مجامع مختلفة كان يحكم المجمع ان الاب العام ولا غيره من الرؤساء يقبل مبتدئًا. وسببه لان الديورة امتلت بل يسمحوا للاب العام ان يقبل مبتدئين حلبيين لم غيرهم الى حد خمسة انفار بشرط ان كل واحد منهم في الروحاني لم الجسداني يكون لهُ تمع بليغ للرهبنة. ومع ذلك كان يطأطئ لقولهم خاضعًا بكل سريرة مع انهم جميعهم تلاميذه وهو الذي نصب مجمع المدبرين فاستدام على هذه الطريقة الى ان خرج من دير مار اليشع الى زيارة الديورة (لها بقيّة)

نقائض جرير والفرزدق (*)

للاب انطون صالحاني اليسوعي

اذا تصفحنا في كتاب الاغاني اخبار الشعراء الثلاثة المتقدمين في صدر الاسلام الاخطل وجرير والفرزدق رأينا في ترجمة كل منهم الحكم لصاحبنا بالسبق على معاصريه. مع انهُ لم يقع إجماع على احدهم انهُ افضل. ولكلّ واحدٍ منهم طبقة تفضّلهُ على الجماعة. قال ابو الفرج الاصبهاني في ترجمة جرير: هو والفرزدق والاخطل

(*) The Nakâ'id of Jarîr and al-Farazdak, edited by Anthony Ashley Bevan M. A. Vol. I Part. 1 et 2, Leiden, Brill 1905.